

الباحث الرصين هي تلك التي يكرسها للتفني « بالتجربة الاسرائيلية العظيمة » . هنا يختفي التحليل الدقيق ليحل مكانه المديح المسافر للدولة الصهيونية ، ومع ان القارئ غير العربي سيفتكر نقاط الضعف في الكيان الاسرائيلي كما بينها سيفغال ، الا انه قد يحتفظ في ذاكرته بتقاط اخرى لا تقل عن ذلك اهمية . اذ قد يتفق مع المؤلف في ان الصراع بين العررب واسرائيل هو صراع بين التخلف والتقدم ، وان مثل العررب في دحر اسرائيل سيؤدي الى حدوث تغيير في مجتمعهم . وقد يؤمن مع سيفغال بأن هذا التغيير سيؤدي في نهاية المطاف الى انتهاء الصراع بين الطرفين .

هذه كلها احتمالات واردة باعتبار ان سيفغال الصهيوني اسبق على كتابه قشرة من الموضوعية قد تنظلي على القارئ غير العربي . فتحليله الدقيق للاوضاع داخل اسرائيل والانتظار العربية المحيطة بها هو صوما سليم ، الا ان استنتاجاته مغلوطة لانها تنطلق من قاعدة زائفة . ان سيفغال ينمي على اسرائيل تأمركها ، ويأخذ عليها تصلبها تجاه العررب ، وكان الصراع الربر الذي دام اكثر من نصف قرن بين الصهيونية والعررب سينتهي حال تخلي اسرائيل من تأمركها وتصلبها وعودتها الى مثالية هيرتزل ! نعم .. مثالية هيرتزل .

ان « لن القدس ؟ » هو كتاب ذكي يقدم الدعاية للفكرة الصهيونية داخل غلاف من النقد للطريقة التي يتم بها تطبيق هذه الفكرة حاليا . الا انه على كل حال يحتوي على معلومات تهم كل من يريد الاطلاع على اوضاع اسرائيل الداخلية في فترة ما بين الحربين : حرب حزيران وحرب رمضان .

✽ ولد رونالد سيفغال في جنوب افريقيا عام ١٩٣٢ ونشأ فيها . وقد أدت معارضته للحكم العنصري القائم في تلك البلاد الى سحب جوازه ، فانتقل الى لندن حيث أخذ يؤلف الكتب السياسية ، فكتب عن افريقيا والهند وامريكا . وهو حاليا يحاضر في جامعة بكاليفورنيا . ويذكر ناشر الكتاب ان « لن القدس ؟ » جاء حصيلة عامين من البحث ، وثلاث زيارات منفصلة للمنطقة شمت كل من مصر والاردن ولبنان واسرائيل .

فء المنصور

التفاوت الطبقي الذي يتفاسم سنة بعد سنة . وبينما الاغنياء يزدادون ثراء في مجتمع قيل عنه في السابق انه اشتراكي ، يظل المستوى المعيشي لنسبة كبيرة من الاسرائيليين منخفضا ، والشقة بين الغني والفقير تزداد اتساعا بمرور الزمن بدلا من ان تضيق . وطبعما ما زال الشرقيون يعانون من التمييز العنصري في المساكن والوظائف والتعليم .

ثم هناك عملية « التأمرك » المستمرة في البلاد . فالجرائم اصبحت كثيرة والفساد منتشر في الجهاز الحكومي ، وموشي ديان يتاجر بالتحف الاثرية . ويمكن القول ان اغلب الامراض التي يعاني منها المجتمع الامريكي قد اصاب بها المجتمع الاسرائيلي ايضا . ويحصى سيفغال مساوىء مجتمع الاستهلاك الاسرائيلي او ميني امريكا (كما يسمى اسرائيل) فاذا هي : التفاوت الطبقي - التفرقة العنصرية - الجرائم - الفساد في الدوائر الحكومية - غطرسة القوة - تلويث البيئة - الصراع بين الاجيال - المراوغة في دفع الضرائب - التكالب على اقتناء الكماليات - خرق المواطنين للانظمة الخ .. حتى حوادث المرور اصبحت كثرتها لا تطاق . فخلال عشرين سنة قتل حوالي عشرين الف اسرائيلي على الطرق .

ان اسرائيل هي اساسا دولة محافظة ، يقول سيفغال ، دولة مصابة بهاجس اسمه الحدود ويعتدة الغيتو . وفي خاتمة القائمة الطويلة الشاملة التي استعرض فيها مساوىء اسرائيل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، يطرح المؤلف سؤاله الاكبر : ماذا حدث لمثالية التجربة اليهودية ؟

في الجواب على هذا السؤال يكمن بيت القصيد في الكتاب . فيقدر ما يتعلق الامر بسيفغال ، المشكلة الأساسية الكامنة وراء كل ما هو سلبي في اسرائيل ليس مبعثها الكيان المصطنع لهذه الدولة ، ولا الظروف الشاذة التي تحيط باستمراريتها ، وانما المشكلة تقع في تخلي اسرائيلي اليوم من مثالية الصهيونيين الرواد ! فبالنسبة اليه ، لا تقل القومية الاسرائيلية شرعية عن القومية المصرية او الاسرائيلية ، كما انه يفخر بأن الاسرائيلي قد اصبحت رمزا عالميا في الشجاعة [ليتذكر القارئ ان هذا الكتاب ظهر قبل حرب رمضان] وكان الشجاعة تضفي الشرعية على الاغتصاب . ان الصفحات الوحيدة التي يفقد فيها سيفغال نبرة